

رسائل التعليقات للرسافي

للأستاذ دريني خشبة

لم يكن أحب إلي من أن أكتب عن الرسافي الشاعر الذي أحبه كما أحب هذه النخبة الكريمة من شعراء العراق الشقيق ، لا الرسافي الفيلسوف الذي يدعونا إلى دين جديد ، ولم يكن أحب إلي من أن أترك القلم للصديق الأعز ، أخي الدكتور زكي مبارك ، لأن القضية قضيتها ، والموضوع موضوعه ، وهو الذي فتح علينا باب هذه الفلسفة الجديدة التي أخذ الرسافي يدعونا إليها من دار السلام

لكن الدكتور زكي مبارك يخاض الزيات اليوم تلك الخصومة التي لا سبب لها ، ويخاض الرسالة تلك الخصومة التي لا سبب لها كذلك ... إنه يخاض الزيات ويخاض الرسالة لأنهما أطلقا العنان لحرية النشر وحرية الفكر وحرية المجادلة ، وأرادا أن يسجلا هذه الصفحة الخالدة من صفحات حرية البحث التي

في جماعات الحيوان إلا في حدود الفرزة الضيقة في الأمومة والأبوة في بعض الحيوانات العليا ، ولم تفتح حياة الاجتماع في جماعات الحيوان نتائج تزيد على حاجات هذه الفرزة المحدودة . بينما تنتج حياة الاجتماع في الإنسان نتائج كثيرة جداً جعلت أمام العالم الطبيعي عالماً آخر صناعياً ، وجعلت الوعي الاجتماعي في الفرد مبنياً على عقل الفرد وفلسفته لا على غريزته وحدها . إن الجماعة البشرية سائرة من الفردية في الأمة إلى الجمعية الدولية ، وبوادر هذا واقعة الآن في هذه الحرب . وبذورها وجدت من قبل في المجموعات السياسية الكبرى . ولا شك أن هذا يستتبع كبتاً للنوازع الفردية في كل أمة من الأمم التي تشترك في هذه المجموعات ، وتزولاً عن بعض خصائصها وحرانياتها وحقوقها التي كانت لها وهي فريدة ، كما استتبع حياة الجماعة في الأمة الواحدة نزول الأفراد عن كثير من حقوقهم وحرانياتهم التي كانت لهم قبل حياة الجماعة . فالتأتون واحد مطرد : وهو السير من فردية الأمرة إلى اجتماعية القبيلة ثم إلى الأمة ثم إلى الإمبراطوريات

كان الدكتور علماً من أعلامها ، بما أثبت في كتبه الكثيرة الجريئة من أفكار وآراء ، وهي أفكار وآراء تحس دبننا وتمس لغتنا ، بل هي تخوض فيهما خوضاً ... أفان رأى أحد مفكرينا من ذوى الفيرة على الدين واللغة أن بعض هذه الآراء قد جار عن القصد ، وجاء ماثلاً بديه بالبرهان وبالدليل ، أو بما يؤمن هو أنه البرهان وأنه الدليل ، على بطلان ما ذهبنا إليه ، غضبنا ... وتركنا مجادلنا يقول كل شيء ، ولا نقول نحن شيئاً ؟

إن الدكتور زكي مبارك غاضب لأنه لم يكن ينتظر أن يهاجم في ميدانه الذي هو الرسالة ... ولقد كنت أغضب مثله حينما أراني أهاجم ، بل أنهم ، في الرسالة التي أعدها ميداني ... وكانت حجة الأستاذ صاحب الرسالة أنه كثيراً ما نادى بأن الرسالة :

تعبير بإخلاص عن روح النهضة المصرية
وتجمع على وحدة الثقافة أبناء البلاد العربية
وتصور مظاهر المبقرية للأمة العربية
وأن مجموعة أعدادها ديوان العرب المشترك ، وكتاب الشرق الجديد ، وسجل الأدب الحديث ، ودائرة معارف عامة ...

اتحاد الولايات . ومن هذه إلى جمعية الأمم التي هي أمل العالم وليس ذلك في السياسة وحدها ، فإن ما في السياسة ينتقل إلى الثقافة والفن الذي ثار حوله هذا الجدل . فالأناث الفنية الأولى في الأدب العربي مثلاً لم تكن غير مقطوعات شعرية غنائية هاج بها وجدان قائلها في مناسبات الحب والفراق والفخر والحاسة والمدح والثناء وغيرها من أغراض الشعر الغنائي ، وهو لا شك شعر فردي يستجيب للأحاسيس والوجدانات الخاصة . ثم أخذت هذه المقطوعات تطول وتتسع للأغراض الاجتماعية فتذكر فيها الحروب والوقائع والمفاخر العامة للقبيلة حتى انتهت بالطولات والملقات التي اهتم بها غير قبيلة قائلها من العرب . ثم ابتداء ذكر الأمة العربية كلها بسطع في الشعر العربي حين وضعها الإسلام موضعاً واحداً أمام الأمم الأخرى التي احتكت بها في النضال والفتوح . أفلا يقال بعد ذلك إن الفردية في الفن العربي كانت قل نسبها تبعاً لنمو الوعي الاجتماعي بين العرب ؟

(السلام بقية)

هبة النعم مهنوف

في التصوف الإسلامي والنثر الفنى ... والمجيب أن الدكتور زكي لم يطلع بعد على الكتاب الذى ألف فى نقده ، ولو لم أكن مشغولاً بقراءته ومناقشة ما فيه لدفعت به إلى صديق لي سمعنا رأييه فيأرماء به شاعر الدراق من تهم أشهد بين يدي الله أنه يرى منها ، وإن خانه التعبير فكذب ما يشتم منه هذا الذى أخذه عليه ناقده

وقبل أن نعرض آراء الأستاذ الرصافي نعلم أننا نقدر حرية الفكر ما لم ترم إلى شر ، وما لم تكن تقيجتها بلبلة أفكارنا والمصنف بمعتقداتنا ، وهدم المعايير الأخلاقية الكريمة التي زودنا بها ديننا الذى هو أعز علينا وأكرم من فلاسفة العالم وقبل أن نعرض آراء الأستاذ الرصافي نعلم أننا نؤمن بالله هذا الإيماء الفطرى الساذج الذى قذفه الله فى قلوبنا ، وأثار به بصائرنا . وأن الله هو خالق تلك الأكوام كلها ، فالله شئ ، والأكوام كلها شئ آخر . وليس الله مجموعة من القوانين الطبيعية كما يقول الفلاسفة . وإيماننا بهذا الساذج الفطرى هو الذى يصح بنا فى تمكيننا دائماً وهو أسهولته ويسره لا يشغلنا كثيراً ، ولا يقذف بنا فى تلك المهام التي تورث الخبال ، ولا تثير إلا الضلالة ، وهو أسهولته ويسره يصرفنا إلى ما هو أجدى من أمور هذه الحياة التي يملأها الجدل ... ونحن بهذا الإيمان الساذج الفطرى الذى نطبع به الله ونحب به رسوله ، . والذى ندعو الله أن يزيد فى قلوبنا رسوخاً أكثر تمددنا من الذين يرموننا بالجود ، فما أرسل الله رسوله إلا لمحاربة الجود وهداية الناس إلى الحق واليقين

وقبل أن نعرض آراء الأستاذ الرصافي أيضاً ، نذكر ما أخذ على الأستاذ من الجرأة فى العقيدة ، والتحليل مما جاء به النبيون أو تأويله بما يلائم أفكاره ، ولا يزال القراء يذكرون هذا الذى نشرته الرسالة عن عقيدته سنة ١٩٣٥ (٨ يوليو العدد ١٠٥ - السنة الثالثة) نقلاً عن الأستاذ أمين الريحاني الذى يقول :

« إن للرصافي رأياً فى الوعى الشعرى غربياً : هو لا يؤمن

وأنه لذلك يؤثر أن تكون الرسالة دائماً سجعاً صادقاً لا حتراب الأفسكار فى مصر وفى الشرق العربى بحيث يجد فيها مؤرخو العالم بعد ألف سنة صورة حقيقية لما كان يجرى فى هذه الأفطار من جدل يدل على الحياة ، ونضال يثبت الشخصية ... وكانت حجة الزيات الأخرى أن الرسالة تناولت بالنقد كل كتابها الأمثل ، وأن الدكتور زكي مبارك نفسه كان أحد مغاوير هذا النقد ، فلم يكذب يسلم من قلبه أحد ممن لهم فى تحرير الرسالة الجهاد المشكور . لكن النقد الذى كان الدكتور يشب ناره لم يكن نقداً يمس الدين ويمس العقائد ، كهذا النقد الذى وجهه إليه أخيراً أحد الكتاب الأفاضل الفُير . والذى كان سبباً فى تنكر الدكتور للرسالة ولصاحب الرسالة

وبعد ... فحسبنا خروجاً على موضوع هذه القضية التي تسبب فى إنارتها الدكتور زكي مبارك بكتائيه العظيمين اللذين لم يؤاف مثلهما كثيراً لا فى مصر ، ولا فى الشرق العربى ألا وهما :

١ - فى التصوف الإسلامى

٢ - النثر الفنى

ولعل لا أنير سخط أحد بوصف هذين الكتائين بالمظلمة ، وبالرغم مما يميلانه من أوجه النقص التي أشار إليها غير واحد من الكتاب والتي وصفها لأخى الدكتور زكي مبارك أول ما لقيته بالقاهرة فى المهد الأخير بأنها - أى أوجه النقص هذه (يُقع) كبيرة كان يحسن بالأستاذ أن يتحاشاها حتى لا تقلل من قيمة كتائيه الجليلين ... وكان هذا قبل عامين على ما أذكر . على أنه ليس هنا - أو ليس الآن - موضع التحدث عن آيات الخلود فى هذين الكتائين ... لأننا نكتب هذا الكلام بمناسبة ذلك الكتاب المفاجئ الذى وصل إلى مصر من العراق الشقيق ، والذى ألفه الشاعر الفاضل معروف الرصافي ، وسماه : « رسائل التعليقات » (مطبعة المعارف ببغداد سنة ١٩٤٤) وجعل ثلثيه فى نقد كتابي الدكتور زكي مبارك

بالوحي ، أو بالحرى الوحي المنزل ، إنما بمقد أن القوة الشعرية في الإبداع ، تتعلق بقوة الباء في الجماع ! وأن الضعف الذي يمتري القوة الواحدة يتصل بالأخرى ، إذن لا بد من التوازن بينهما ... بل هو ضرورى ...

« ... ثم ذكر (أى الرصافي لأمين الريحاني) النبي محمداً وهو في نظر معروف شاعر عظيم ... على أن أجمل قصائد النبي ، أى أجمل السور القرآنية ، إنما هي التي جاء بها في عهد الاعتدال الجنسي ، يوم لم يكن له غير خديجة زوجاً ، أما بعد وفاة خديجة ، فقد أصبح محمد مزواجاً ، وكانت القصائد — السور — في هذا العهد مثل نسائه ، أى دون ما تقدم منها ومنهن

« فقد كتب الرصافي سيرة النبي محمد ، وأطلعني عليها مخطوطة بيده ، في سبعة دفاتر من الدفاتر المدرسية ، فما أدهشني منها لم فيها من العلم والتحقيق ، لأن مصادر الموضوع متوفرة لمن شاء معالجته ، وأحسن البحث والوازنة ، إنما أدهشني القوة النافذة والقدرة على التحليل والاستخراج ، والتفلسف في عقائد لا تستقيم بغير الإيمان والجرأة والصراحة مع الانكال على العقل والعلم فهما

« فقد استخدم في سيرته المصباح الذي استخدمه العلماء الأوربيون في نقد التوراة — أى مصباح النقد الأعلى الذي ينير العلم بنور العقل والمقارنات التاريخية . وما يزيدك إعجاباً بالرصافي أنه لا يحسن لغة أجنبية^(١) ، فقد ركن في كل ما حل وأول واستخرج واستنتج إلى اجتهد الخالص ، وإلى علومه الواحدة العربية

« وإنك لتدرك الروح في مصنفه هذا إذا علمت رأيه بالله ، فقد قال في مرة : إن الآية : لا إله إلا الله ، لا معنى لها ، ويجب أن تبطل ، أو تبدل بالآية : إله إلا الوجود ، أى أن الكون هو الله ، هي عقيدة البانيزم ، أى الحلول ، وهو فيها

(١) في الكتاب الجديد الرصافي يقول إنه يفن اللغة التركية

على اتفاق والرهاوى . وقد يهمل وينسى كثير من شعر الرصافي في المستقبل ، وتظل سيرته النبوية من الكتب التي تقرأ وتكتنز وقد علفت الرسالة على هذا اللغو تمليقاً كريماً ، فذكرت أن حكومة العراق صادرت كتاب الريحاني لمثل هذا المتر ، وأن الرصافي قد يقول شيئاً من هذا الكلام في ساعة لهوه ليطوى في بساط الشراب ، لا لينشر على الناس في كتاب ... الخ »

لقد نعمدنا أن نطيل الاقتباس لأن الرصافي عاد فردد هذه الأراجيف في كتابه الجديد الذي لم يصادر ، وينبغي ألا يصادر ، فالمصادرة سلاح رث لا يجمل استعماله في هذا العصر الذي يأخذ بحرية الفكر ... وسنرى كيف تبطل هذا اللغو بعد عرض آراء الأستاذ الكبير ...

(ينبع)

درينى هشتية

الشوامخ

امرؤ القيس

درس وتحليل

بقلم

الدكتور محمد صبرى

أول كتاب يبرز عبقرية زعيم الشعر الجاهلي بأسلوب

جديد يستند إلى التحليل المقارن بأدب الإفرنج

يطلب من المكتتب الشهيرة - الثمن ٣٠ قرشا